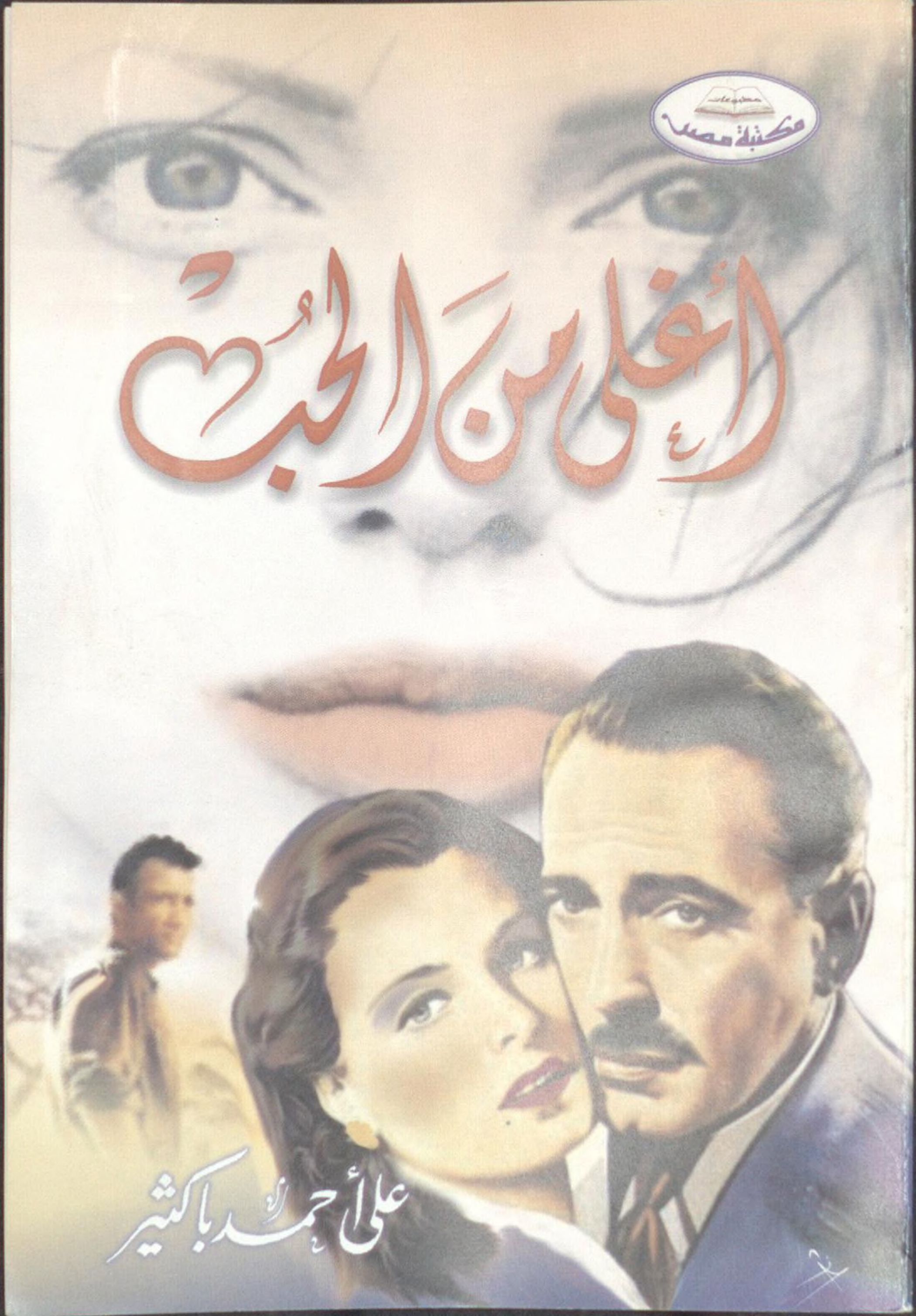

مطبوعات
مكتبة مصر
أغلى من الحب
علي أحمد باكثير

مطبوعات مكتبة مصر

أغلى من الحب

مسرحية من ثلاث فصول

تأليف

على أحمد باكثير

الناشر
مكتبة مصر
سعيد جودة السحار وشركاه
٣ شارع كامل صدقى - الفجالة
ت: ٥٩٠٨٩٢٠

مقدمـــة

بقلم

د. محمد أبو بكر حميد

الأعمال الأدبية التى يتركها أصحابها مخطوطة أو غير منشورة فى كتب تصبح « وثائق أدبية » ذات قيمة تاريخية يجب نشرها كما تركها مؤلفوها. وهذه القيمة التاريخية التى تكتسبها تلك المؤلفات تقتضى من النقاد والدارسين دراستها فى إطار الروح الأدبية والاجتماعية والسياسية للعصر الذى كُتبت فيه، وتقويمها فى حدود مرحلة التطور الفنى التى بلغها الكاتب عند كتابته لهذا العمل أو ذاك، علمًا أن التطور الفنى للأديب — كما هو معروف — لا يحكمه التسلسل التاريخى لأعماله بقدر ما تحكمه عوامل فنية وإبداعية لا يمكن تقنينها أو التكهن بها إلا من خلال دراسة الظروف الذاتية والموضوعية لكل عمل على حدة.

عثرت على نص مسرحية (أغلى من الحب) ضمن ما عثرت عليه من أعمال مجهولة ومخطوطة بين محتويات مكتبة باكثير الخاصة فى بيته بالقاهرة.

ولعل هذه المسرحية الوحيدة من ذوات ثلاثة الفصول التى لم أعثر لها

على نص مخطوط، وإنما وجدت قصاصات النص المنشور فى جريدة الجمهورية على ثلاث حلقات سنة ١٩٥٤م. نشرت الحلقة الأولى منه فى ٨ فبراير، والثانية فى ١٥ فبراير، والثالثة فى ٢٢ فبراير. وكان العثور عليها مفاجأة لى إذ إنه لم يرد لها ذكر حتى فى المخططات التى وضعها بخط يده عن بعض أعماله القادمة التى يرغب فى جمعها ونشرها فى كتب ، أو تلك التى كان ينوى تأليفها، خاصة وأنه فى آخر عمل طبع له فى حياته، أوبريت (شادية الإسلام) ١٩٦٩ م، وكان قد ذيله بأسماء مجموعة من أعماله التى لم تنشر دون أن يدرج فيها عنوان مسرحية (أغلى من الحب).

وليس لدينا من تفسير لتجاهله لنشرها ضمن قوائم أعماله المطبوعة أو التى يَعِدُ بطباعتها، فهل كان ينوى إعادة كتابتها أو تعديلها قبل جمعها فى كتاب كما فعل فى مسرحية (إبراهيم باشا)، التى طبعت سنة ١٩٤٤م وأعاد صياغتها بالشعر الحر سنة ١٩٦٨م بعنوان (الوطن الأكبر)؟

ولعل الوقوف عند هذا النص يعيننا فى الإجابة عن هذا السؤال.

* * *

يقدم باكثير فى هذه المسرحية — من منظور التطور الإسلامى للكون والإنسان والحياة — نموذجًا للضياع الروحى والقلق النفسى الذى

يعيشه الإنسان بعيدًا عن الإيمان بالغيب وبسبق مشيئة الله لإرادته البشرية، وذلك معارضة للدراما الغربية التى تجعل من الإنسان إلها لهذا الكون. وتعتبر هذه المسرحية — من الناحية الفكرية والعقدية — امتدادا للأعمال التى يعالج فيها باكثير قضية العلاقة بين الحب والإيمان من أوجه متعددة بدأها فى مسرحية (أخناتون ونفرتيتى).

ويبدو أن بطل مسرحية (أغلى من الحب) "حامد" عبد العزيز الذى درس فن الإخراج السينمائى فى أوروبا قد تأثر بهذه الفكرة إلى حد كبير وهو ما يظهر لنا فى موقفه من المشكلات التى يتعرض لها. يعود "حامد" إلى وطنه يحدوه الشوق الكبير إلى خطيبته "ابتسام" التى يحبها حبًا عظيمًا ويتلهف للزواج منها، وفى الوقت نفسه يجيش صدره بطموح أكبر يريد أن يحقق لنفسه ولوطنه به مكانة فى الفن السينمائى. ولكن «المشكلة» التى يواجهها منذ وصوله مصر تبدأ حين يتذكر أنه لا يستطيع الجمع بين هذين الهدفين العزيزين على نفسه، ف"ابتسام" حبيبته شديدة الغيرة ولا يمكن أن تتقبل اتصاله وعمله مع الممثلات فى الوسط الفنى. وتشعل هذه « المعضلة » صراعًا فى داخله يبدأ منذ الإطلالة الأولى على المسرح: أيضحى بفنه من أجل حبه؟ أم يضحى بحبه من أجل فنه؟ وبما أنه لا يستطيع أن يتخلى عن فنه — وهو رسالته فى الحياة ومستقبله — فقد وصل بعد تفكير طويل وحيرة بالغة إلى حلّ

يضمن به تحقيق السعادة لخطيبته "ابتسام" التى رفضت كل الخُطّاب من أجله وانتظرته، وهذا الحل هو أن تتزوج غيره شريطة أن يحقق لها السعادة ؛ لأنه يريد أن يتجنب تأنيب الضمير إن لم تسعد فى زواجها بسببه. ومع اقتناعه بهذا الحل ظل يساوره قلق — نتيجة حبه لها — ويتساءل: مَنِ الذى سيضمن له أنّ الذى سيتزوجُها سيُسعدها كما أراد هو أنْ يسعدها؟ ولكن عمه "سالم" الذى يحاوره يعترض على هذا السؤال ويقول له: على الإنسان أن يسعى لكن «النتائج» ليست من شأنه. وهنا يصرح "حامد" لعمه بأنه لا يؤمن بالقَدَر: «أنا مسؤول عن ذلك ، لن يهدأ ضميرى حتى أراها تسعد فى حياتها الزوجية ».

ومن منطلق هذا «الاعتقاد » يفسر سلوك "حامد" فى المسرحية، ويرفض ما يقوله له عمه بأن عليه العمل وليس عليه إدراك النجاح، لأن ذلك من شأن القدر الذى هو إرادة الله . ويدخل "حامد" فى تحدٍّ صريح مع القدر الذى يعتقد أنه يستطيع أن يصنعه بإرادته فما الذى يفعله؟

يصطنع حيلةً تجعل "ابتسام" تنصرف عنه حين ينشر صورة له مع إحدى الممثلات، وخبر نيته الزواج منها، ويجد فى شخصية صديقه الأستاذ محمود المدرس بالجامعة مواصفات الرجل الذى سيحقق السعادة لابتسام خاصة وأنه خطبها من قبل.

فهل تحققت السعادة التى أرادها لمحبوبته؟

فوجئ "حامد" بأن "ابتسام" تشقى مع محمود لغيرته الشديدة التى ورثها عن أبيه — كما اعترفت أمه فيما بعد — خاصة أنه قد وجد ما يسوغ هذه الغيرة إذ ظل يساوره الشك فى أن "ابتسام" لا تزال تحب "حامدًا" فتحولت حياتهما إلى جحيم.

وهكذا وجد "حامد" نفسه يفشل فى اختيار الموقف الذى أراده فقد أراد أن ينجى "ابتسام" من نار غيرتها عليه فأوقعها فى نار غيرة محمود عليها، فكان فراره — فى حقيقة الأمر — من قدر الله إلى قدر الله.

ولم يصل إلا إلى النتيجة التى قالها له عمه منذ بداية المسرحية : «مهلاً يا ولدى لا يستطيع أحد أن يتحدى القدر؛ لأن القدر محجوب عنا إلى أنْ يقع فينكشف لنا حينذاك، فأنت إذا حققت هدفك هذا فذلك هو القدر، وإن عجزت عن تحقيقه فذلك أيضًا هو القدر».

ومع ذلك لا يريد "حامد" التسليم بهذه الحقيقة بل يستمر فى عناده مكابرًا مُحمّلاً نفسه مسؤولية ما حدث متهمًا نفسه بالتقصير فى التحرى عن حقيقة محمود، فيزداد الصراع فى نفسه اشتعالاً ويزيده توترًا وقلقًا ثم يصل إلى اصطناع حيلة أخرى لتطمين صديقه "محمود" إصرارًا منه على ضمان سعادة "ابتسام" معه فيُسرف فى تشويه صورته

فى نفسها حينما يتصل بها هاتفيًا ليواعدها سرًا فتحتقره وتغلق الهاتف فى وجهه، فيرتاح زوجها الذى كان على علم بما حدث.

وهنا يظن "حامد" أنه قد حقق هدفه فيستطيع أن يطمئن على مستقبلها وسعادتها مع "محمود" الذى اقتنع ببراءة زوجته، ولكن "حامد" لم يعلم بما يطويه القدر لأن "محمود" يموت فجأةً فى حادث مؤلم قبل أن تقطف "ابتسام" ثمار الحيلة التى اصطنعها لسعادتها.

وينكسر "حامد" ويشعر بهزيمته أمام « القَدَر » الذى يباغته بما لا يخطر له ببال، ولكنه يشعر فى الوقت نفسه أنّ ما أراده القدر لمحمود يجرى لصالحه — ومع شىء من تأنيب الضمير — يجد "حامد" الفرصة مواتية لاستعادة "ابتسام".

فقد حقق طموحه الفنّى، ونال أعلى الجوائز العالمية فى الإخراج السينمائى؛ فما الذى يمنعه اليوم من استعادة حبيبته بعد أن هيأ له «القدر» ما لم يكن يحلم به؟ ولكن "ابتسام" ترفضه بقوة فينهار، ويحاول الانتحار تحت وطأة الشعور بانكسار إرادته أمام إرادة القدر. ألم يكابر؟ ألم يعلن كفره بالقدر ظنًا أنه يستطيع إدراك « النجاح » بعمله وحده؟

* * *

لو كان "حامد" يؤمن بأن لهذا الكون إلها عادلاً حكيمًا رحيمًا يدعو عباده للعمل وإخلاص النية ويهديهم — إنْ صدقوا — إلى ما فيه خير لهم وإن رأوا بعقولهم البشرية المحدودة خلاف ذلك. فالإنسان الذى يؤدى ما يدعوه إليه ضميره ويهديه إليه مبلغ اجتهاده ثم لم يدرك الهدف الذى يريده ليس عليه من سبيل إن كان مؤمنًا حقًا بعدالة وحكمة ربه فيستسلم لقضائه وقدره مرتاح الضمير بأنه قد أدى ما عليه وليقض الله ما يشاء.

وقد أورد باكثير هذه الفكرة على لسان (سالم) يقولها لابن أخيه حامد : « إن القدر محجوب عن الإنسان ولكن الخير معروف له، فليتوخّ الخير فيما يعمل، وليحسن نيته ثم لِيَدَعَ ما وراء ذلك لله يقضيه بما يشاء الله — عز وجل ».

ومن هنا نجد أن حبكة المسرحية والصراع فيها لم يخرجا عن إطار هذه الفكرة ؛ لأن "حامد" سعى لما اعتقد أنه خير، وأحسن النية لكنّ إصراره على تحقيق « النجاح » بالصورة التى يريدها هو كانت تدخلاً فيما لا يملك لنفسه ولا لغيره، وكأن عدم إيمانه بالغيب جعله لا يُبصر أكثر مما يراه ماثلاً أمامه، وعقله لا يخترق حجب الغيب ليخبره بما هو آت فلا يقدم له إلا ما يقع فى قدرة عقله المحدود.

ولولا أن باكثير أنهى هذه المسرحية نهاية سعيدة حين جعل أم "محمود" تكشف لابتسام سر « المكالمة الهاتفية » لتعرف براءة "حامد" مما ظنته به لتقبل به بعد ذلك وتتزوجه، لولا هذه النهاية لكانت هذه المسرحية قد اتخذت شكل التراجيديا الإغريقية بمضمون إسلامى، وهو ما فعله فى صياغته لأسطورة أوديب فى مسرحيته (مأساة أوديب) ١٩٤٩م، لأن "حامد" بطل تراجيدى مكتمل المواصفات الأرسطية، فهو مثل "أوديب سوفوكليس" فى غرورة وعناده وتحديه للقدر والإرادة الإلهية، رفض كل التحذيرات وتجاهل كل المؤشرات، محكّمًا عقله وحده، معتمدًا على إرادته وحدها فى كل ما أقدم عليه من أفعال، ليقع فى النهاية فيما كان يريد الهروب منه، فتكون تلك مأساته.

والبطل التراجيدى — كما يعرفه أرسطو — لا يكون مؤذيًا للغير أو شريرًا عن قصد وإنما هو إنسان تجتمع فيه عيوب شخصية تشكل «الخطأ التراجيدى» الذى يقوده إلى حتفه فيثير فى نفوسنا الرثاء له والشفقة عليه.

وهذا ما حدث بالضبط مع "حامد" الذى كانت كل « أفعاله » طوال المسرحية تحاول «ضمان » سعادة "ابتسام" التى ظنها تتحقق فى عدم زواجها منه، فإذا بالدوائر تدور عليه، وتبوء كل محاولاته لإسعادها بالزواج من غيره بالفشل، وتكون المفارقة أن يتزوجها هو فى النهاية

ليحقق «القدر» الذى فر هاربًا منه لظنه أن فى هروبه منه خيرًا لها وله.

وهذا هو الفارق بين نهاية البطل التراجيدى ونهاية البطل الباكثيرى فى هذه المسرحية التى كان لابد أن تنتهى نهاية سعيدة، لاعتبارات فنية وفكرية تتفق مع مسوغات رؤية المؤلف لها فى ذلك الوقت على الأقل.

فالضرورة الفنية تقتضى أن تنتهى هذه المسرحية نهاية سعيدة ؛ لأنها مسرحية اجتماعية على غرار ما كان سائدًا فى الدراما الاجتماعية أو الميلودراما الاجتماعية الرائجة فى المسرح والأفلام السينمائية فى فترة كتابتها — منتصف القرن العشرين تقريبا .

وفى الوقت نفسه تكون متفقةً مع الضرورة الفكرية (الخاصة بالمؤلف) التى أظهرت "حامد" فى النهاية مدركًا لعيبه ومعترفًا بفضل الله — تعالى — رغم كل ما أقدم عليه، فيعود إليه اطمئنانه بعودة إيمانه بقضاء الله وقدره، بعد أن عاش لسنوات فى عذاب القلق الروحى والتوتر النفسى.

وبعـــــــد ...

فهل اتضحت الآن ملامح الإجابة عن سؤالين :

السؤال الأول، (أثرناه فى البداية) ما سر صمت باكثير عن ذكر هذه المسرحية ضمن سلسلة أعماله؟

والجواب على ضوء الرؤية التى قدمناها لبطل المسرحية: نعتقد أنّ باكثير رأى أن اكتمال مواصفات البطل التراجيدى فى شخصية "حامد" اقتضت منه إعادة النظر فى تغيير خاتمة المسرحية من النهاية السعيدة التى كانت متفقة آنذاك مع المعايير الفنية المطلوبة لتحويل عمل كهذا إلى فيلم سينمائى أو عرضه على المسرح على الأقل، وهو ما نظن أنه الهدف الذى أغرى المؤلف بوضع تلك النهاية.

لذلك نرجح أنه كان ينوى إعادة صياغتها وتغيير نهايتها دون إخلال بالرؤية الإسلامية التى أراد باكثير رسمها للبطل الأرسطى — إلى نهاية تتفق فنيا مع الاتجاه الواقعى فى المسرح الحديث.

أما السؤال الثانى الذى سيطرح نفسه على القارئ بقوة بعد قراءة المسرحية فهو: ما الذى يقصده باكثير بأغلى من الحب فى هذه المسرحية ؟ .

وأعتقد أن ذلك سيكون أكثر وضوحًا عند قراءة المسرحية إذ إنه ليس من حقى فى دراسة لنص لم يُنشر بعد أن أكشف عن تفاصيله كافة أو أسلم كل مفاتيحه حتى لا أفسد على القارئ أو الباحث متعة التأمل والاستكشاف فى هذا العمل الذى تنشره مكتبة مصر بالقاهرة لأول مرة ضمن سلسلة أعمال باكثير المجهولة.

محمد أبو بكر حميد

أغسطس ٢٠٠٣ م

أشخاص المسرحية

حامد : مخرج سينمائى نابغ .

ابتسام : حبيبة حامد .

سالم : عم حامد : فى الستين من عمره .

محمود : أستاذ مساعد فى الجامعة .

فاطمة : شقيقة حامد : أرمل

خديجة : والدة ابتسام .

زينب : والدة محمود .

الفصل الأول

المشهد الأول

"حامد" فى بيت عمه "سالم"

حامد : ماذا أصنع يا عمى؟ أنا فى أشد الحيرة.

سالم : الزواج يا ولدى بركة وخير، و"ابتسام" بنت حلال وأنت تحبها وهى تحبك. وقد ظلت تنتظرك طويلاً حتى رجِعْتَ من أوروبا فكيف تتخلى عنها الآن؟ هذا ظلم.

حامد : قلت لك يا عمى لا أستطيع أن أتزوجها الآن.

سالم : لا بأس أن تؤجل الزواج بعض الوقت. وأعتقد ألاّ مانع عندها من ذلك.

حامد : ربما يطول عليها الانتظار؛ فأمامى كفاح طويل بعد.

سالم : تزوجها ثم كافح، فلن تعوقك عن الكفاح، بل ربما تُعينك عليه.

حامد : كلا يا عمى: إنها فتاة غيور، وطبيعة عملى فى

الإخراج السينمائى تقتضينى الاتصال بنجوم الشاشة. ولن يستقيم لى عمل وهى لى بالمرصاد تحاسبنى على كل صغيرة وكبيرة.

سالم : ما أحسب غيرتها تبلغ إلى هذا الحد.

حامد : بل أعظم من ذلك، لقد قامت قيامتها ذات يوم لمجرد أن رأت صورتى منشورة فى بعض المجلات الفنية وأنا أراقص إحدى الممثلات.

سالم : إنها فتاة عاقلة يا حامد، وستدرك بعد حين أن هذا عملك الذى تكسب منه رزقك؛ فتعلم أن ليس من حقها أن تنكر مثل هذا عليك.

حامد : حتى لو سكتت عنى وتركتنى وشأنى، لا استطيع أن أمضى فى جهادى الفنى وهى فى سرّها تأسى وتتألم.

سالم : أتشفق عليها أم تشفق على جهادك الفنى؟

حامد : عليهما معا.

سالم : فماذا أنت ناوٍ أن تصنع؟

حامد : بل أنا الذى التمس مشورتك يا عمى !

سالم : ماذا أقول لك؟ تخل عنها إذن مادمت ترى أنها لنْ تسعد بالزواج منك.

حامد : بعد ما انتظرتنى كل هذه المدة الطويلة، وردّت

الخُطاب من أجلى؟

سالم : ستعود فتقبل أحد أولئك الذين خطبوها إذا يئست منك.

حامد : وما يضمن لى: أنّ الذى سيتزوجها منهم سيسعدها كما أردتُ أن أسعدها؟

سالم : هذا ليس من شأنك.

حامد : بل من شأنى. أنا مسئول عن ذلك. لن يهدأ ضميرى أبدًا حتى أراها تسعد فى حياتها الزوجية.

سالم : أمَّا إنّ أمرك لعجيب. ذلك شأن القدر أَوَ تريد أن تتحكم فى القدر..؟

حامد : لا اكتمك يا عمى: إنّنى لا أؤمن بهذا الذى تسمونه القدر.

سالم : ماذا تقول يا حامد؟ هذه كبيرة منك!

حامد : أكبر منها — فى رأيى — أن أغالط نفسى وادعى الإيمان بما لا أؤمن به. لو كنت أؤمن بالقدر لما حِرتُ هذه الحيرةَ فى أمرى.

سالم : أجل... الإيمان بالقدر هو الذى يكشف عنك هذه الحيرة.

حامد : كلا... إن نفسى تضطرم بالرغبة فى الكفاح، وقد

وضعت نصب عينى هدفا أكاد أراه متحققا أمامى فلا بد لى أن أحققه شاء القدر أو أبى !

سالم : مهلا يا ولدى... لا يستطيع أحد أن يتحدى القدر لأن القدر محجوب عنا إلى أنْ يقع فينكشف لنا حينذاك. فأنت إذا حققت هدفك هذا فذلك هو القدر، وإنْ عجزت عن تحقيقه فذلك — أيضًا — هو القدر.

حامد : إذن: فالقدر وَهْمٌ لا وجود له.

سالم : صَهْ ، لا ينبغى يا ولدى أنْ تقول ما لا تعلم. ستكشفه لك الحياة يوما ما فتلمس أثره وتؤمن به.

حامد : وهل لمست أنت يا عمى أثره؟

سالم : مرارا عديدة.

حامد : أذكر لى مثالا منها إذا تفضلت.

سالم : هل تعرف قصة عمك عبد الرحمن — رحمه الله؟

حامد : نعم، اعرف أنه مات فى حادثة قطار بين باريس ومارسيليا، وقد مررت أنا بنفس الخط، ولا اكتمك يا عمى : إننى كنت خائفًا طول الطريق.

سالم : سلامتك يا بنى. (**يتنهّد**) الله يرحمه ويحسن إليه! تخرّج عمك فى مدرسة الطب مثلى، وأراد المرحوم

والدى أن يبعث أحدنا لإكمال دراسته فى أوروبا. وكان يريد أن يختارنى لأنى أكبر سنا من عبد الرحمن، ولأنى تخرجت قبله بسنتين ؛ ولكن عبد الرحمن أصر على أن يكون هو المبعوث، وأقام الدنيا وأقعدها، فدعانى والدى وقال لى : هل لك أن تنـــزل عن حقك لأخيك وتبقى أنت هنا معى؛ فإنى لا استغنى عنك؟ وظن أننى سأعارض، ولكنى أجبتُ بألا مانع عندى. فكان الذى كان.

حامد : ليس فيما حدث يا عمى أى دليل. لقد كان فى الإمكان أن تلقى أنت أو يلقى هو مثل ذلك المصير فى حادثة قطار بين طنطا والقاهرة.

سالم : حسنا... فسّر أنت الحادث كما تشاء، ولكنّى وعيت من ذلك درسا عمليا ينبغى أن تعيه لتنتفع به — أيضًا — كما انتفعت.

حامد : وما هو؟

سالم : **"إنّ القدرَ محجوب عن الإنسان، ولكن الخيرَ معروف له. فليتوخ الخير فيما يعمل، وليحسن نيته ثم ليدع ما وراء ذلك لله يقضيه بما يشاء — عزّ وجلّ ".**

حامد : أما هذا فهو حل عملى معقول، وأنا أوافقك عليه.

سالم : الحمد لله ! إن عملت بذلك فهو حسْبُك.

حامد : أجل... سأعمل به... سأعمل بما أراه الخير ولن أتردد بعد اليوم.

قل لى يا عمى: أنت تعرف محمود عبد العال.

سالم : صديقك المدرس فى كلية الأداب؟

حامد : نعم.

سالم : أعرفه طبعًا، وأعرف والده ووالدته. كانوا جيرانا لنا فيما مضى... أناسا طيبين، لكنْ لماذا تسألنى عنه؟

حامد : انتظر ! خبرنى أولاً : لو تقدّم لابنتك شابان صالحان: أحدهما مدرس فى الجامعة، والآخر مخرج سينمائى فأيهما تفضل؟

سالم : لكن عمك يا ولدى لم تعد له بنت تُخطب.

حامد : على سبيل الفرض.

سالم : أفضل المدرس فى الجامعة، قطعا، مع الاعتذار إليك يا حامد.

حامد : الحمد لله.

المشهد الثانى

فى بيت محمود الأستاذ المساعد بالجامعة

حامد : إن لم تزرنا يا محمود زرناك.

محمود : أهلا بك يا حامد. فى غاية الشوق والله.

حامد : لا تكذب. إنك لم تعد مثل الأول. زرتنى يوم قدومى من أوروبا ثم لم تزرنى مرة أخرى.

محمود : اعذرنى يا أخى... المشاغل والله.

حامد : لا... بل تتحاشى لقائى، كأنما أنا خَصمك.

محمود : **(متلعثما)** خصمى ! لا والله يا حامد. مازلت عندى أعزَّ صديق.

حامد : ابتسام هى السبب...

محمود : **(يزداد ارتباكه)** ابتسام؟ ابتسام مَنْ؟

حامد : **(يضرب على كتفه باسما)** ابتسام التى خطبتها فى غيابى... لا تتجاهل يا مكّار !

محمود : **(يتجلّد)** إيه إذن فقد أخبرْتكَ هى؟

حامد : كلا ليست هى التى أخبرتنى. بل علِمتُ من مصدر آخر...

محمود : **(فى خجل)** سامحنى يا حامد والله ما قصدتُ أنْ...

حامد : **(باسمًا)** لا داعى للاعتذار. إنّى ما جئت لألومك أو

أؤنبك وإنما جئت لأخطبك لابتسام.

محمود : **(محتدا)** بالله يا حامد اعفنى من هذه السخرية ! أنا حقا خطبتها كما بلغنى أن ارتباطها بك غير مؤكد. وقد رفضتنى وانتهى الأمر، فما لزوم هذه السخرية؟

حامد : قسما بالله يا محمود والمصحف الشريف ما قصدى السخرية بل أَعْنِى ما أقول، جئت والله لأخطبك لابتسام.

محمود : وهل أنا فتاة لتخطبنى لها أو لغيرها؟

حامد : ويحك يا صديقى أى بأسٍ فى ذلك؟ هذا نبينا محمد — عليه الصلاة والسلام — خطبته السيدة خديجة !

محمود : ماذا تريد أنْ تقول؟

حامد : أريد أن تخبرنى بصراحة هل ما زلت تريد الزواج من ابتسام؟

محمود : **(فى استعطاف)** حامد !

حامد : أنا جاد والله ولست بهازل... أما زلت تحبها؟

محمود : وأنت؟

حامد : أنا قد قررت العدول عن الزواج فلن أتزوجها لا هى ولا غيرها قبل خمس سنوات أو أكثر أتفرّغ فى خلالها لكفاحى الفنى.

محمود : لكن...

حامد : حَذَارِ يا محمود أنْ تظن أنّ ذلك لشىء رابنى منها... لا و كتاب الله العزيز.

محمود : معاذ الله يا حامد ولكن... ولكنّها تحبك أنت...

حامد : أعرف أنها وفية لعهدى، وقد رفضت الخُطّاب من أجلى، وفيهم من هم خير منى؛ ولذلك أريد أَنْ أجزيَها إحسانا بإحسان..

محمود : بأن تتخلى عنها !.

حامد : نعم... لمن يستطيع أن يسعدها خيرا منى... لك أنتَ يا محمود.

محمود : كلا ، لست أفضل منك.

حامد : أنا لا أحب الرياء يا محمود ولا التواضع الكاذب. لا أقول إنك أفضل منى ولكنك أصلح لها وأجدر بإسعادها، فأنت مدرس فى الجامعة ولستَ مخرجا سينمائيا مثلى ينغمس بحكم عمله فى الوسط المائج بالصواب والفتون. هل فهمت ما أعنى؟

محمود : نعم.

حامد : ثم إن أمامى السنوات الخمس فأكثر، فمن الظلم أن أكلفها انتظارى كل هذه المدة أو أسمح لها بذلك، فهل تحبها بعد يا محمود؟ ترغب فى يدها؟

محمود : لكن كيف السبيل إلى ذلك وقد رفضتنى.

حامد : إنما رفضتك إذ كانت ترى نفسها مرتبطة بعهدى فإذا جعلتها فى حلٍّ من ذلك فستقبلُك ولن تجد خيرا منك. تأكد يا محمود، إن ذلك سيُسعدنى جدًا لأنى سأشعر حينئذ أننى قد أرضيْتُ ضميرى.

محمود : أخشى أن تعود يومًا فتندم على قرارك هذا.

حامد : كلا، بل على العكس سأندم لا محالة إذا تزوجتُها فلم استطع أن أسعدها ولا أنْ أرضىَ فنى.

محمود : وحبها لك يا حامد ربما يبقى كامنا فى قلبها فيقف حائلا دون سعادتنا الزوجيه.

حامد : **كلا يا أخى، ثق أن المرأة لا تحلم إلا بالاستقرار حين تحب ، ولا تحفل بعد الزواج بغير الواقع ، فمتى وجدت الاستقرار فى حياتها الزوجية، انقطع ما بينها وبين كل ما مضى من حب وحلم.**

هى فى ذلك تختلف عن الرجل الذى قد يحب أو يحلم بالحب من أجل الحب ذاته أو للوصول إلى لذة عابرة ولا يَعْبَأ التقيد برباط من دين أو عرف أو خلافه، ولا يحلم بالاستقرار فى حالة العجز أو فى حالة مخافة الله. حين تحب، لا تحفل بعد زواجها بغير الواقع.

محمود : أجل... أذكر إنى قد وقفت على شىء من هذا فى

بعض ما قرأت.

حامد : وأنا بلوت صدق ذلك من كتاب الحياة... ثم لا تنس أنها فتاة صالحة كاملة يا محمود فوفاؤها لزوجها هو أيسر ما يُرجى منها.

محمود : لكن ماذا تنوى أنت أن تصنع؟

حامد : هذا أمر هين: اتعرف النجمه الحسناء سلوى سمير.

محمود : أعرفها من صورها وأفلامها.

حامد : قد وقع اختيارى عليها لتقوم بدور البطولة فى باكورة أفلامى. فسأعمل غدا على أن تنطلق إشاعة فى الأوساط الفنية حول غرام بيننا يوشك أن ينتهى إلى زواج.

محمود : لكن فى هذا اساءة إلى سمعتك.

حامد : لا تهتم... من يشتغل بهذا الفن لابد أن يصيبه مثل هذا الرشاش سواء أراد أو لم يرد، ومهما تحفظت والتزمت.

محمود : ماذا عليّ أنْ أصنع؟

حامد : ويحك يا محمود — أألقنك حتى كيف تخطب؟

محمود : يجب أن تعمل رسم الخطة من كل وجه.

حامد : طيب... وحين تستفيض الإشاعة فأرسل إليها من يخطبها لك من جديد.

« المشهد الثالث »

فى بيت ابتسام

خديجة : ما هذا يا ابتسام يا بنيتى؟ أنه لا يستحق قطرة واحدة من هذه الدموع التى تذرفينها عليه !

ابتسام : حتى بعد ما عاد من أوروبا أو كنت فى انتظار هذا الخائن !

خديجة : هكذا الرجال يا بنيتى ليس لهم أمان. والحمد لله إذ ظهرت خيانته قبل أن يعقد عليك... إذن لكانت حياتك معه جحيما لا تطاق.

ابتسام : بس لو كنت أعرف أنه هكذا من قبل ! اذن لأعرضت عنه قبل أنْ يُعرضَ هو عنى !

خديجة : لو كان هذا من الأول يا بنيتى أيام كان فى أوروبا ! جاءك الخُطّاب: واحد تلو الآخر ما بين محام، ومهندس، ومدرس فى الجامعة، ووارث من ذوى الأملاك... وقلتُ لك اقبلى يا بنيتى وانفضى يدك من الغائب الذى لا نعرف ماذا يكون مصيرة... فأبيت إلا أن تتشبثى برأيك وتنتظريه !

ابتسام حتى بعد ما عاد من أوروبا لو كنتُ طردته من

وجهي لشفيتُ غليلي !

خديجة : لا يا بنيتي... أن يأتي العَيْبُ منه خير من يأتي العيب منك..

ابتسام : قد ظهر العيب منه يوم نُشرت صورته وهو يرقص مع تلك الممثلة الخليعة ! لو طردته ذلك اليوم وقطعتُ كل صلة بيني وبينه ! ولكن الخائن خدعني بألفاظه المعسولة واتهمني بالغيرة العمياء وأكّد لي أنْ ليس بينه وبينها غير الصلة البريئة بحكم المهنة.

خديجة : إن أردتِ الحق يا بنيتي، فالواقع أنّ هذه مهنته. ماذا تنتظرين غير هذا من مخرج سينمائي يتقلّب بين الممثلات والمغنيات والراقصات... يقضي نهاره معهن في الاستديوهات، ويقضي ليله معهن في الحفلات والسهرات؟ لو لم يقع على دماغه في حب هذه التي اسمها سلوى سمير ، فسيقع في حبال واحدة أخرى مثلها وألعن منها ! هذا أول الرعد يا بُنَيَّتي وياما غدا تسمعين من أمثاله ! ربنا يجازي البعيد شر أعماله !

ابتسام : آمين يا رب !

خديجة : الحمد لله... ربنا أراد لك الخير يا بنتي إذ أنقذك قبل

أن تقعى فى الحفرة التى ليس لها قرار.

ابتسام : بس يا أمى لو أرانا وجهه ولو مرة واحدة !

خديجة : بعد الفعلة التى فعلها؟

ابتسام نعم.

خديجة : لكى تنخدعى مرة أخرى بألفاظه المعسولة !

ابتسام لا يا أمى بل كنت... كنت

خديجة : كنت تصنعين ماذا؟

ابتسام : كنت أنتقم منه... كنت أطرده، كنت أقول له : مازلت تطمع فى زواجى يا خائن... يا سافل؟ أنا أتزوج الفراش... الخدام، الساعى، البواب ولا أتزوج خائنا مثلك ! اطلع بره ! اطلع بره !

(تنتحب باكية).

خديجة : **(تضمها إلى صدرها تواسيها)** يا عينى عليك يا ابتسام ! لا لا لا... لا لزوم لكل هذا... ما زال فى وسعك أن تنتقمى منه انتقاما أشد عليه وأشرف لك.

ابتسام : كيف؟

خديجة : تتزوجين غيره وأحسن منه...

ابتسام : من ذا يتقدم إلى الآن وقد رفضتهم جميعًا؟

خديجة : قد تقدم لك واحد منهم فعلاً.

ابتسام : من؟

خديجة : الأستاذ محمود عبد العال.

ابتسام : المدرس فى كلية الآداب؟

خديجة : نعم...

ابتسام : متى؟

خديجة : اليوم الصبح وأنت فى الحمام... بعت لنا قريبته التى بعتها من قبل.

ابتسام : لكنك لم تخبرينى بذلك

خديجة : (**متلعثمة**) رأيت الأصواب يا بنيتى ألا أخبرك فأزيد فى ألمك.

ابتسام : بالعكس يا أمى، كان ذلك يخفّف عنى..
وماذا أجبتها؟

خديجة : ما قلت لها لا ولا نعم... قلت لها سننظر فى الأمر وطلبتُ منها أن تعود إلينا بعد شهر.

ابتسام : بعد شهر !

خديجة : نعم... لا أستطيع أن أقبل أو أرفض ألا بعد استشارتك.

ابتسام : ولماذا لم تستشيرينى فى الحال؟

خديجة : أوه، قلت لك يا ابتسام لا أريد أن أزيد فى ألمك...

ابتسام : طيّب ولماذا بعد شهر بطوله؟

خديجة : علام العَجَل؟ من يدرى لعل ابن آل المرزوقى، ذلك الشاب الوارث الذى خطبك سابقًا، يتقدم لك أيضًا عما قريب.

ابتسام : كلا... سأقبل هذا الذى تقدم أولاً... سأقبل محمود عبد العال.

خديجة : دعينا ننتظر قليلا، فإذا لم يتقدم ابن آل المرزوقى قريبًا قبلنا هذا المدرس فى الجامعة.

ابتسام : كلا ، لا أريد ابن آل المرزوقى هذا.

خديجة : هذا من ذوى الأملاك... غنى كبير !

ابتسام : ماذا أصنع بغناه؟ أريد شابا مثقفا ثقافة عالية مثل الخائن وأحسن... أريد محمود عبد العال.

خديجة : لكنك تعلمين أنه كان من أصدقاء حامد.

ابتسام : ولو ! سيكون ذلك أبلغ فى انتقامى منه ! سوف يرى بعينيه أيهما أسعد وأكرم : الذى تزوج مَصُونة من بيت كريم أم الذى اقترن بممثلة مبتذلة؟

خديجة : دعيه يتزوجها ! هو وهى ملة واحدة !

« المشهد الرابع »

فى بيت فاطمة أخت حامد

فاطمة : حامد ! ألا أحط لك الغداء يا حامد؟

حامد : ليس الآن يا فاطمة؟

فاطمة : الساعة الآن الثالثة... أما جعت بعد؟

حامد : تغدَّوْا أنتم فلا رغبة لى فى الأكل الآن..

فاطمة : ماذا بك يا حامد؟ هل تشكو شيئا؟

حامد : لا شيء يا فاطمة... لا شيء..

فاطمة : بل أنت حزين لأن اليوم يوم زفاف ابتسام... أنا عارفة.

حامد : **(يتجلد)** بالعكس، أنا مسرور من ذلك..

فاطمة : أنت نَدْمانُ على تصرفاتك.

حامد لا يا فاطمة لست بندمان.

فاطمة : على كل حال لا جدوى من الندم الآن... تجلّد يا أخى وارض بما قسم الله لك... على حد المثل : فى فمك وتقسم لغيرك.

حامد : ماذا تقولين يا فاطمة؟ ألم أقل لك أننى أنا الذى دبرت كل هذا بمحض اختيارى ورغبتى؟

فاطمة : نعم... أنت دبرت لأنّ القدر أراد ذلك.

حامد : ولم لا يكون العكس هو الصحيح؟

فاطمة : ماذا تعنى؟

حامد : القدر أراده لأنـــى أنا دبرته وأردته !

فاطمة : أستغفر الله ! ما هذا الكلام الذى تقوله يا حامد؟ هل ابن آدم يقدر على شيء يا أخى إلا بمشيئة الله وقضائه؟ أنت جائع يا حامد، والجوع كفر... تعال معى لأغدّيك... لقد صنعت لك اليوم أكله تحبها. مكرونة فى الفرن... وفرخة محمرة !

(تأخذ بيده لتنهضه).

حامد : (يلبى دعوتها كأنما ليظهر لها أنه غير ندمان) صحيح... هذه الأكلة التى أحبها وأشتهيها... هلا أخبرتنى بذلك يا أختى من الأول؟

فاطمة : (فرحة) الحمد لله ! الآن أعجبتنى ! الله يحميك يا أخى ويسعدك.

فاطمة : طيب يا أخى... أعدّى الغداء وأنا ألحق بك. حالاً فى أقل من دقيقة (تخرج).

حامد : (يتمتم وحده) أجل لا جدوى الآن من الندم... وعلام الندم؟ هذا أمر دبّرته أنا بنفسى عن اقتناع

وبعدَ رويّة وتفكير فتم كل شيء كما أردت ودبرت... محمود عبد العال خير من يصلح زوجا لها... سيسعدها أكثر مني لا ريب عندى فى ذلك. وسأنطلق أنا فى جهادى الفنى بلا عوائق ولا قيود ! لكن القدر... هذا الوهم الذى يؤمن به الناس هل يمكن أن يتدخل فى ذلك؟ لا لا... إنه لا وجود له. الليلة ليلة الزفاف ! كان فى الإمكان أن تُزفّ الليلة إلىّ أنا لا إلى محمود... أنا حقا كالمنتحر... أجل مثل المنتحر ! نسيت أن أسأل عمى عمن يموت منتحرا.

هل قتل هو نفسه أم القدر الذى قتله؟

فاطمة : **(صوتها منادية من الداخل)** حامد ! قد أعددتُ الغداء !

حامد : حالاً يا فاطمة ! **(يمشى نحو الباب ليخرج)** كالمنتحر ! كلا ! فرق بينى وبين المنتحر : هو جبان يئس من الحياة. وأنا شجاع ممتلئ بالحياة وبالأمل!

« ستار »

الفصل الثانى

« المشهد الأول »

فى بيت الزوجية الذى أعدّه محمود بعد أربع سنوات من الزواج .

محمود : ابتسام !

ابتسام : نعم يا محمود.

محمود : هل أنت سعيدة حقًا بزواجك منى؟

ابتسام : ما سؤالك هذا يا محمود؟ هل أنكرت منى شيئًا؟

محمود : لا ، ولكنى أحب أن أعرف.

ابتسام : فى منتهى السعادة يا محمود.

محمود : بل تكتمين عنى الحقيقة.

ابتسام : ماذا تعنى؟

محمود : أنك تشعرين بالشقاء، لم تحملى بعد أربع سنين من زواجنا.

ابتسام : أيوه... قلت لك مرارا إن ذلك لا يعنينى، ولا أهمية له عندى.

محمود : (فى ارتياب) لا يعنيك.

ابتسام : نعم... أنا غير مستعجلة على الأولاد.

محمود : غير مستعجلة هه؟

ابتسام : ماذا بك يا محمود؟

محمود : ألا تتمنين أن يكون لك خَلَف منى؟

ابتسام : طبعًا... كل امرأة منا تتمنى أن تكون أُمّا، وأن يكون لها أولاد تفرح بهم.

محمود : حتى من الزوج الذى لا تحبه؟

ابتسام : ماذا تقول يا محمود؟ من قال لك أنى لا أحبك؟

محمود : أنا لم أقل ذلك.

ابتسام : فما معنى كلامك هذا؟

محمود : هذا سؤال برىء.

ابتسام : سؤال برىء؟

محمود : نعم... سؤال عن النساء عامة.

ابتسام : لم إذن وجهته إلىّ؟

محمود : لأنك زوجتى التى لم تشأ أن تنجب لى حتى اليوم بعد أن مر على زواجنا هذا الدهر.

ابتسام : (فى حنو) أوه إلى هذا الحد يا محمود تشتهى الذرّية؟

محمود : طبعًا أشتهى أن تنجبى منى لأنى أحبك يا ابتسام.

ابتسام : وتشك فى حبى لك من أجل ذلك؟

محمود : ما حيلتى يا ابتسام؟ لقد قرر الأطباء أننى سليم، والله سليم! فماذا عسى أن يكون المانع إذن؟

ابتسام : **(فى اكتئاب)** الآن أشعر أنى شقية حقا !

محمود : **(دون وعى)** لزواجك منى؟

ابتسام : كلا، بل لأنى كنت السبب فى شقائك. لكن ماذا أصنع يا محمود؟ لقد جرّبت كل علاج أعطانيه الطبيب **(تبكى)** .

محمود : تبكين يا ابتسام؟ لا يا حبيبتى.

ابتسام : لقد كنت أتألم لذلك فى نفسى قبل أن تصارحنى بما فى نفسك فكيف بى اليوم وقد لمست مبلغ ألمك وشقائك؟

محمود : **(يمسح دموعها بمنديله)** هوّنى عليك يا حبيبتى. أنا لست من الحرص على الذرية كما تظنين.

ابتسام : لكنك تشعر بالشقاء يا محمود.

محمود : كلا كلا... أؤكد لك يا ابتسام أن ذلك ليس هو السبب.

ابتسام : **(يتقلص دمعها وتسأله فى اهتمام)** فما السبب إذن؟

محمود : **(يتلعثم)** لا شيء يا ابتسام لا شيء.

ابتسام : بل يجب أن تصارحنى بما فى نفسك. لا يصح أن تتألم من شيء وأجهله.

محمود : كل ما هنالك يا ابتسام أننى... إنّك ربما ندمت على الزواج منى وأنا لا أعلم.

ابتسام : عيب يا محمود ! هذا كلام تقوله لى؟ أين أجد يا حبيبى زوجا كريما مثلك؟

محمود : ولا الأستاذ حامد عبد العزيز؟

ابتسام : **(فى حدة وانفعال)** أرجوك يا محمود : لا تذكر لى اسمه مرة ثانية.

محمود : لماذا يا ابتسام؟

ابتسام : كذا... لا أريد أن أسمع اسمه.

محمود : إنك تعلمين أنه صديقى القديم.

ابتسام : ولو !

محمود : لقد كنت بسبيل أن أقول لك : ماذا لو دعوناه ليتغدى عندنا ذات يوم.

ابتسام : يتغدى عندنا؟

محمود : نعم... ينبغى أن يرى بيتَ الجديد.

ابتسام : كلا يا محمود لا تفعل.

محمود : هل من مانع عندك؟

ابتسام : لا مانع مطلقا... ولكن لا داعى لذلك.

محمود : فصديقى القديم يا ابتسام.

ابتسام : طيب... ادعه للغداء إذا شئت.

محمود : هيه ، كذا؟

ابتسام : نعم، أتكرهنى أنت على مالا أريد؟

محمود : لكن لماذا؟

ابتسام : محمود ! أعفنى من ذلك أرجوك ! ما الداعى إلى كل هذا؟

محمود : ما المانع؟..

ابتسام : أنت عارف وفاهم !

محمود : لأنه كان خطيبك فيما مضى !

ابتسام : نعم.

محمود : وأى بأس فى ذلك؟ هل هذا يمنع من بقائى صديقا له؟

ابتسام : أنا لا أعترض على صداقتك له، ولكن ليس لك أن ترغمنى على مقابلته.

محمود : أنا لم أخطفك من يده. هو الذى تخلى عنك وأراد أن

يتزوج تلك الممثلة سلوى سمير ثُمَّ عدل عن الزواج بها لعله أراد أن يتفرغ لفنه ! أليس كذلك؟

ابتسام : ما يدريني؟ سله هو فهو صديقك !

محمود : صدقت. سوف أسأله بنفسي.

ابتسام : محمود... أرجوك أن تخبرني عن حقيقة قصدك فإني لا أعرف ما قصدك !

محمود : لا قصد لي يا ابتسام غير ما ذكرته لك. صديق قديم ينبغي أن يزورني في بيتي.

ابتسام : لقد مضى على زواجنا الآن أربع سنين و لم تدعه يومًا لزيارتك فما الذى جد؟

محمود : قد أصبح اليوم علما مشهورا فى البلد يتمنى البعيد قبل القريب أن يتقرب إليه.

ابتسام : محمود... أنت تغار منه؟

محمود : هيه تعتقدين ذلك؟

ابتسام : هذا واضح من كلامك وأسئلتك !

محمود : أبدًا... ولو كنت أغار منه كما تقولين فهل كنت أدعوه إلى بيتي ليراك ويجلس معك؟

ابتسام : كلا ليس فى نيتك أن تدعوه وإنما أردت أن تخبرنى

لترى ماذا يكون جوابى.

محمود : إذن فجوابك هذا كله كان مناورة !

ابتسام : **(محتدة)** كلا أنا لا أعرف المناورات ولا أجيدها..

محمود : هل أستطيع أن أعرف السبب؟

ابتسام : قد قلت السبب. حرام عليك. ماذا جنيت يا محمود حتى تعذبنى هذا العذاب؟

محمود : هذا العذاب الذى تقاسينه ليس منى أنا !

ابتسام : **(نافدة الصبر)** لا... هذا شيء لا يطاق. علام هذا اللف والدوران؟ قل لى بصريح العبارة: أنك تتهمنى بأنى ما زلت أحبه.

محمود : أنا فى الواقع لم أقصد ذلك ، ولكن ما دمت أنت قد نطقت به فاسمحى لى أن أسألك: هل هذا صحيح؟

ابتسام : لو استبحت لنفسى الكذب لقلت: نعم هذا صحيح لأجرحك كما جرحتنى ، ولكنى أحبك والله يا محمود ولا أحب أحدا سواك **(تنتحب)**.

محمود **(تدركه الرقة فيتودد إليها)**

سامحينى يا حبيبتى ، والله ما قصدت أن أجرحك وإنك لأعز الناس عندى ولكنك أنت التى دفعتنى إلى ذلك.

ابتسام : كيف؟ ماذا صنعت؟

محمود : تشددك هذا فى الامتناع عن دعوة حامد ومقابلته جعلنى أشكّ وأرتاب. لا تؤاخذينى يا ابتسام.

ابتسام : إذن فادعه كما أردت.

محمود : وتقابلينه؟

ابتسام : لا بأس... سأقابله ما دام هذا يرضيك.

محمود : **(يقبلها قبلة الشاكر للجميل)**

الحمد لله... الآن اطمأن قلبى.

« المشهد الثانى »

فى بيت خديجة أم ابتسام

خديجة : المصيبة يا بنتى أنك تحبينه وهو لا يستحق هذا الحب؟

ابتسام : ما كان هكذا فى الأول. كان رجلا كريما رقيق الإحساس طيب القلب. كان يحبنى ويعمل كل ما فى وسعه ليرضينى ويسعدنى ، ثم إذا به يتغير هكذا فجأة؟

خديجة : ألا تذكرين متى بدأ ذلك؟

ابتسام : نعم كان ذلك منذ سنة. دعانى ذات ليلة إلى السينما كعادتنا كل أسبوع فسألته : أى فيلم؟ قال : «الحب المقدس » فأحسست ساعتها برجفة غريبة سرت فى أعصابى ولم يكن هذا أول فيلم شاهدناه من إخراج "حامد" ، فقد شاهدنا له قبل ذلك فيلمين أو ثلاثة ، ولم أشعر فيها بأى حرج ولكن لا أدرى لماذا تشاءمت تلك المرة؟

خديجة : وهل أظهرت له ذلك؟

ابتسام : لا وإنما قلتُ له : لم لا نذهب إلى أحد الأفلام الأجنبية؟ فقال لى : لماذا؟ قلت له : لأنك تفضل دائمًا

الأفلام الأجنبية، وقال: ليس فيها ما يستحق المشاهدة هذا الأسبوع، ولما خرجنا من السينما لم يسألنى كعادته فى الطريق عن الفيلم فلزمت السكوت أنا أيضًا لأنى فى الواقع تضايقت من تلك القصة.

خديجة : لماذا؟

ابتسام : كانت قصة موسيقار ضحى بحبه فى سبيل فنه.

خديجة : أنا لا أحب السينمات يا بنتى ، ولكنى سمعت أنها كانت رواية رائعة؟

ابتسام : رائعة حقًا ولكنى كرهت القصة.

خديجة : وبعد؟

ابتسام : عند النوم سألنى محمود : هل أعجبك الفيلم؟ قلت له: لا بأس به، وهل أعجبك أنت؟ فسكت قليلاً ولحظت تغيرا فى وجهه فبدرته قائله : أعرف أنك لا ترضيك الأفلام المحلية. فأجابنى وقد اختفى أثر التغير من وجهه: أبدًا هذا الفيلم فى رأيى أحسن من كثير من الأفلام الأجنبية وقد بلغ "حامد" فيه القمة.

خديجة : وبعد ذلك؟

ابتسام : مرت تلك الليلة بسلام، ومكثنا مدة بعد ذلك لم ألحظ عليه خلالها أى شىء فقد كان رقيقًا معى كعادته حتى

ظننت أنه قد نسى كل شىء إلى أن جاء ذلك اليوم المشئوم.

خديجة : يوم فاتحك فى أمر الخلف؟

ابتسام : نعم لقد تحقق عندى الآن أنه غير مهتم بحكاية الخلف وإنما اتخذها سببا لاستجوابى فى أمر "حامد" بل إنه ما دعا حامدا للغداء وعزم علىّ أن أقابله إلا ليرى بعينه مبلغ الصحة فيما يساور قلبه من الشك.

خديجة : وارتبكت أنت أمامه طبعاً؟

ابتسام : نعم كنت مرتبكة طول الوقت.

خديجة : هذا شىء طبيعى.

ابتسام : فاتخذ هو هذا الارتباك دليلا على أنى باقية على حب حامد.

خديجة : خيّبه الله. ما أصغر عقله!

ابتسام : ومن نهارها يا أمى صارت حياتنا كلها نكدا فى نكد.

خديجة : يا ليتك أطعتنى فما تسرعت بزواجه.

ابتسام : قسمتى كدا يا أمى.

خديجة : كنت أريد لك ابن آل المرزوقى.

ابتسام : وهل خطبنى هو فرفضته؟

خديجة : قد رجع لك بعد ذلك فوجدنا قد ارتبطنا بمحمود.

مدرس فى الجامعة... مثقف ثقافة عالية... انظرى...
ماذا رأيت اليوم من هذه الثقافة العالية !

ابتسام : أوه... ليس ذلك ذنبى على كل حال..

خديجة : لا؟ ها هو ذا تزوج ابنة آل سليمان التى لا تساوى ظُفرك فاسعدها وأغناها.

ابتسام كلا أنا لا أحسدها على هذه المظاهر الفارغة. من يدرى لعله لو تزوجنى لصنع معى مثل ما صنع محمود وألعن !

خديجة : أكان يغار عليك أيضًا من حامد؟

ابتسام : محتمل...

خديجة : كلا يا بنتى هذا ليس صديقا لحامد ولا يعرفه...

ابتسام : من ذا يجهل حامد اليوم؟

خديجة : لكنه لن يفعل أبدا مثل محمود، ولن يهتم بحامد ولا شهرة حامد.

ابتسام فلقد ظل محمود زمنا لا يذكر حامدًا ولا يهتم به وكنا أسعد زوجين ، وما بدأت المتاعب إلا حينما ظهر حامد واشتُهر.

خديجة : الله يقطعك يا حامد وينكبك؛ أنت السبب فى هذا كله. أما كفاه أنه عطّلك عن الزواج أربع سنين ثم

رماك من أجل ممثلة مبتذلة حتى يدخل اليوم كالسوس بينكما.

ابتسام : وما ذنبه هو يا أماه؟.. هذا الحادث الأخير على الأقل ليس ذنبه.

خديجة : أكان من الضرورى أن يجىء إلى بيتك ويتغدى عندك؟

ابتسام : محمود هو الذى دعاه.

خديجة : دعاه الدود فى التراب ! أكان من الضرورى أن يلبى دعوته؟

ابتسام : والنهاية يا أمى؟..

خديجة : النهاية يا بنتى مثل ما قلت لك : ما دمتِ متضايقه من عشرته فاتركية وأقيمى هنا عندى.

ابتسام : كلا .. لا أستطيع أن أهجره.

خديجة : لا تخافى يا عبيطة وتأكدى أنه سيجىء يترجاك ويترضاك ويبوس رجليك كالكلب.

المشهد الثالث

في بيت زينب أم محمود

زينب : محمود ! عدت اليوم مبكرا جدا من الجامعة !

محمود : (فى لهف) أين ابتسام؟

زينب : اخلع يا ولدى ملابسك أولاً.

محمود : أين هى؟

زينب : ذهبت تزور أمها.

محمود : من غير أن تستأذننى؟

زينب : أنا أذنتُ لها.

محمود : متى خرجت؟

زينب : يا ابنى ما لزوم هذه الأسئلة؟

محمود : خبرينى يا أماه متى خرجت؟

زينب : من حوالى ساعة.

محمود : والتليفون؟

زينب : راقبته كما أمرتنى.

محمود : وطول الوقت؟

زينب : طول الوقت.

محمود : و ...

زينب : لا لم تطلب أحدا و لم يطلبها أحد ، لم تضع يدها على السماعة بتاتا. هداك الله يا بنى ما دام التليفون يثير لك الوساوس فاقطعه من هنا لا حاجة لنا به.

محمود : وما الفائدة؟ فى البلد تليفونات أخرى كثيرة !

زينب : أعوذ بالله منك ومن سوء ظنك ! صحيح. ما جاءك هذا من بعيد... كان المرحوم والدك عنده هذا الداء... لا يعود من البيت حتى يحقق معى فى سين وجيم.

محمود : لا حق له... يرتاب فيك أنت؟

زينب : كانت الغيرة تصوّر له أوهاما مضحكة أو ظنونا سخيفة. لقد بلغ من هوسه أن سخط وثار لأنه رآنى ذات يوم أجلستُ صبيا صغيرا من أولاد معارفنا فى حجرى وقبّلته !

محمود : وأين هذا من ذاك؟ الذى ينافسنى اليوم فى قلبها ليس بصبىٍّ صغير بل هو مخرجٌ كبير !

زينب : بل أنت الظالم وهى — يا عينى عليها — المظلومة !

هذه بنت حلال... تحبك.

محمود : فى الظاهر فقط.

زينب : يا سلام على الرجال حين يفترون على الولايا الضعاف ! حرام يا محمود... حرام !

محمود : حرام على مَنْ؟

زينب : حرام عليك يا مفترى يا ظالم ! حتى لو فرضنا المستحيل أنها تحبه وتميل إليه فهل يعقل أن حامدا صديقك القديم — وأكل العيش والملح معك — تحدثه نفسه بخيانتك فى امرأتك؟ أوَ قد ضاقت عليه الدنيا؟ هذا مخرج سينمائى وعنده الممثلات والراقصات.

محمود : ولم لا؟ وجه جديد !

زينب : أى جديد؟ هذه كانت خطيبته.

محمود : جديد... قديم... صَيْد والسلام !

زينب : لو كان راغبا فيها لتزوجها حين عاد من أوروبا فقد ظلت تنتظره مدة طويلة.

محمود : هذا يقوى الشبهة ويؤكد الريبة.

زينب : ألم تخبرنى يوم أردت أن تخطبها من جديد أنه هو الذى

كلمك فى شأنها وأنك تفاهمت معه على الطريقة وكل شىء؟ أنسيت ذلك يا محمود؟

محمود : كلا ما نسيت ذلك. لقد تبين لى الآن أنه أغرانى بالزواج منها لكى احجزها له ريثما يتفرغ هو لكفاحه الفنى كما زعم ، وحينئذ يجدها فى متناول يده عند صديقه المغفل.

زينب : يا حافظ ... يا حفيظ ... يا ولدى حد الله بينى وبينك... ما دمت هكذا فطلقها...

محمود : لا أستطيع أن أطلقها قبل أنْ أتأكد... إنّى أحبها يا أماه... أحبها !

زينب : يا رب ارحمنا يا رب !

المشهد الرابع

فى بيت فاطمة شقيقة حامد (أرمل)

فاطمة : انتهيت يا حامد من عملك فى الاستديو؟

حامد : أى عمل؟ يروح العمل فى جهنم !

فاطمة : هذه أول مرة أسمعك تسبّ عملك.

حامد : ماذا أصنع يا فاطمة؟ لقد صرتُ مُبَلبل الذهن مضطرب الخاطر مشلول الإرادة !

فاطمة : يجب أن تتشجع يا أخى وتتغلّب عن هذا الضعف الذى عندك، لا يصح أن تضيع ثمرة جهدك الطويل من أجل أمر كهذا. وماذا عليك منه؟ دعه يتهمك كما يشاء.

حامد : ويحك يا فاطمة، ألم تفهمى بعد حقيقة شعورى؟.. أنا لا يعنينى أمره هو، وإنما يعنينى أمر ابتسام.

فاطمة : وابتسام ما شأنك بها الآن و لم تعد تربطك بها أى صلة؟

حامد : أنا الذى كنت السبب فى شقائها اليوم. ما كان يجوز

لى أن أتخلى عنها بعد ما انتظرتنى السنوات الطوال.

فاطمة : أجل صالحها هى لقد عرفت أنها غيور فخشيت أن تضنيها الغيرة عليك من الممثلات اللاتى تتصل بهن بحكم عملك.

حامد : أجل هذا ما كنت أغالط به نفسى إذ ذاك، والحقيقة أنى ضحيت بها هى فى سبيل أنانيتى... فى سبيل بناية مجد كاذب.

فاطمة : كلا يا حامد ليس هذا بمجد كاذب. الدنيا كلها تشهد أنك رفعت رأس بلادك عاليا فى مضمار هذا الفن. أنسيت الدوى العظيم الذى أحدثه عرض فيلمك: "الحب المقدس" والعواصم الأوروبية والأمريكية؟ أنسيت أنه نال الجائزة الأولى فى المباراة العالمية الكبرى بكان.

حامد : (يتنهد) لكن بأى ثمن ! لقد اشتريت بذلك ضميرا سيعذبنى طول الحياة !

فاطمة : لم ترتكب ذنبا يوجب ذلك.

حامد : فى سبيل أنانيتى سحقت قلب فتاة بريئة طاهرة !

فاطمة : سحقت قلبها؟ من قال لك ذلك ؛ أو تظن أنها كانت

بعد زواجها تحبك؟ كلا ، يا أخى لقد أحبت زوجها
هذا حبًا شديدا ولا تزال تحبه حتى اليوم.

حامد : ماذا تقولين يا فاطمة؟ من أين عرفت ذلك؟

فاطمة : من الست زينب عبد العال... أم صاحبك محمود.
زارتنى اليوم وحدثتنى بكل شىء.

حامد : جاءت إليك هنا؟..

فاطمة : نعم بعد خروجك بقليل.

حامد : وما الذى جاء بها؟

فاطمة : جاءت المسكينة تبكى وتشكى من ابنها محمود
وكانت تريد أن تقابلك.

حامد : وحدثتك عن ابتسام؟

فاطمة : طبعًا... تصور يا حامد أنها فى صف ابتسام ضد ابنها
محمود.

حامد : وماذا قالت؟

فاطمة : قالت : إن ابتسام مظلومة وأنها تحب زوجها وتعمل
جهدها على إسعاده ولكنه هو الذى تجنّى عليها بغير
حق.

حامد : وقالت لك أنها ما تزال؟

فاطمة : نعم حتى بعد ما نكّد عليها عيشتها وسقاها الويل منذ يومين فقط حضرت أمها إليهم، وكان محمود حاضرا فأطلقت لسانها عليه وقالت له طلقها ثم انكفأت على ابنتها تلومها على صبرها وتأمرها بالخروج معها فأبت ابتسام أنْ تطيع وتركت أمها تخرج وحدها غاضبة.

حامد : إذن فهى تحبه !

فاطمة : نعم... لقد روت لى العجوز قصصا كثيرة عن شدة حبها له وتعلقها به.

حامد : **(يتنفس الصعداء)** الحمد لله !

فاطمة : أجل تستطيع أن تطمئن الآن يا حامد أنت لم تجنِ عليها إذ تخليت عنها.

حامد : لكنه لا يستحقها.. لا يستحق هذا الحب.

فاطمة : يستحقه أو لا يستحقه. هى راضيه به وكفى.

حامد : صابرة على بلواها !

فاطمة : المهم أنك لم تظلمها ولم تجن عليها.

حامد : بل جنيت عليها يا فاطمة ، أنا الذى اخترت لها هذا الزوج ولقد أردت أن أضمن لها زوجا يسعدها، فإذا بى أقيّض لها جلادًا.

فاطمة : ما ذنبك؟ هل كنت تعلم أنه سيعاملها هذه المعاملة؟

حامد : كان يجب عليّ أن أعلم.

فاطمة : سبحان الله! أكان فى وسعك أن تعرف الغيب؟

حامد : **(يتمتم فى تأثر بالغ)** الغيب!

فاطمة : نعم... حسبك أنك كنت حسن النية حين اخترته.

حامد : وماذا أفادنى حسن النية؟

فاطمة : هذه النية الحسنة تعفيك من المسئولية، وتجعل ضميرك فى حلّ مما حدث.

حامد : كلا يا فاطمة... هيهات. أنا المسئول!

فاطمة : أوه لقد حيّرتنى يا أخى فى أمرك.

حامد : لن أسمح لنفسى أن تغالطنى بعد اليوم. أنا المسئول يا فاطمة. أنا المسئول.

فاطمة : كلا يا حامد. إن كان لابد من مسئول، فالمسئول هو القدر!

حامد : القدر؟ لا يا فاطمة أنا لا أؤمن بالقدر!

فاطمة : ويلك يا حامد!.. ألا تكف عن هذا الكفر أبدا؟ كيف تقول هذا وأنت تصلى وتصوم.

حامد : أنا مؤمن بالله يا فاطمة ولكن لا أستبيح لنفسى أن

أتنصّل من تبعة عملى وألقيها على كاهل القدر.

فاطمة : حلمك يا أخى ، نسيت أن أقول لك: إن أم محمود حدثتنى اليوم أنه ورث هذا الداء عن أبيه.

حامد : (فى اهتمام مفاجىء) الداء؟

فاطمة : داء الغبرة... الغيرة المفرطة.

حامد : أواه هذا ما فاتنى علمه يا ليتنى كنت أعلم من قبل !

فاطمة : أرأيت الآن: أنك غير مسئول وأن ذلك حكم القدر؟

حامد : كلا ما زلت أنا المسئول. كان علىّ أن أتحرّى عن محمود أكثر مما فعلت لأكتشف هذه الحقيقة التى غابت عنى .

فاطمة : يا إلهى! أبعد هذا كله مازلت غير مؤمن بالقدر؟

حامد : لا لن أعفى نفسى أبدًا من المسئولية.

فاطمة : أم محمود لها رجاء عندك...

حامد : أوه... أهذا كل ما عندك؟

فاطمة : صبرك يا أخى. إنها جاءت فى الأصل لتترجاك أن ترفق بابنها محمود إذا قابلته.

حامد : أنا لن أقابل هذا المخلوق أبدا.

فاطمة : هو الذى سيجىء لمقابلتك؟

حامد : كلا... من الخير ألا يقابلنى فقد تحدثنى نفسى بما لا تحمد عقباه. كفى ما صنع بى يوم دعانى للغدا فى بيته. لقد أطعمنى السم.

فاطمة : لو استشرتنى يومئذ لنصحتك بألا تلبى دعوته ففيها إحراج لابتسام.

حامد : أوهمنى خلاف الحقيقة... زعم لى أن تلك رغبتهما معا هو وهى فخشيت أن يؤول رفضى تأويلا سيئا ولم يخطر ببالى قط أنها خطة دبرها ليختبرها ويختبرنى.

فاطمة : لا بأس يا حامد. يجب أن تحقق رجاء والدته العجوز. إنها ولية.

حامد : وماذا يريد ابنها منى؟

فاطمة : يريد أن يصارحك بكل شىء... هكذا سمعته أمه يقول، فخافت المسكينة أن يقع بينها وبينه سوء ؛ فتحاملت على نفسها وجاءت من ورائه لترجوك أن تقابله بالحسنى ، وتتلطف معه لعله يثوب إلى رشده. أرجوك يا حامد... من أجل الأم المسكينة .

المشهد الخامس

فى الجامعة حيث يعمل محمود

حامد : لكنك تطلب منى أمرا عظيما يا محمود !

محمود : أعلم ذلك يا حامد، ولكن ما أظهرته لى من العطف والتسامح ومقابلة الإساءة بالإحسان يجعلنى أطمع فى المزيد من كرمك.

حامد : لو كنت أعتقد أن هذا يحل المشكلة لأجبتك إليه عن طيب خاطر. ولكن العلة يا أخى فى ذات نفسك فما دمت تتشكك وترتاب هكذا حيث لا محل للتشكك ولا ظل للريبة فماذا عسى أن تجديك هذه المكالمة فى التليفون !

محمود ستطمئن بها نفسى يا حامد.. سيستريح قلبى المعذب!

حامد : ويحك يا محمود! ماذا تنتظر أن يكون جوابها لى؟ لا ريبَ أنها ستلعننى وتُسمعنى الرد القبيح. هذا أمر مقطوع به ولا يجوز لك أن تشك فيه.

محمود : صحيح ولكنى أشتهى أن أسمع ذلك بإذنى. لا بأس أن تحتمل هذه التضحية من أجلى... ومن أجلها

هى أيضًا يا حامد. إنى أحبها يا حامد، قلبى يتمزق ألما لما هى فيه الآن من التعاسة والشقاء.

حامد : هل فكرت يا محمود أنّ ذلك سيعطيها عنّى أقبح وأشنع صورة من صور الخيانة والندالة والخسة؟

محمود : هذا حق ، ولكن ذلك لن يضرك شيئا وسيمنحنى أنا كل شىء.

حامد : أمرك يا صديقى.

محمود : أشكرك يا حامد ! الله يبقيك ويسعدك !

حامد : أهى الآن فى المنـــزل؟

محمود : نعم.

حامد : والست والدتك هناك؟

محمود : نعم ولكنها لن تأخذ هى السماعة.

حامد : **(يرفع سماعة التليفون)** بسم الله الرحمن الرحيم... أعطنى الرقم...

محمود : ها هو ذا. **(يعطيه الرقم مكتوبا فى ورقة)**

: **(يدير الرقم)** ارفع أنت السماعة الأخرى.

حامد : آلو منـــزل الأستاذ محمود عبد العال؟... ابتسام هانم... صباح الخير يا ابتسام أنا حامد عبد العزيز المخرج السينمائى، اسمعى يا ابتسام أنا فى انتظارك

غدًا الساعة العاشرة صباحًا عندى فى المنـــزل... لن يكون فى المنـــزل أى مخلوق...

وقح! الله يسامحك على كل حال إن كان هذا الموعد غير مناسب فسأكلمك مرة أخرى... البوليس؟ لا يا حبيبتى لا لزوم للفضائح... آلو! آلو!

محمود : (فى تأثر شديد) رمت السماعة !

حامد : سمعت يا محمود؟

محمود : الحمد لله ! (يدنو من "حامد" فيقبل رأسه) سامحنى يا حامد سامحنى ! (يطفر الدمع من عينيه) والله لا أدرى كيف أشكرك !

حامد : العفو يا أخى... المهم أنك اطمأننت الآن !

محمود : الحمد لله ! أنا الآن أسعد مخلوق فى الوجود !

حامد : الحمد لله !

محمود : أتدرى يا حامد يا أخى ، لو جاءنى أمر الله الآن لاستقبلته بصدر رحب ونفس مطمئنة !

حامد : لا يا محمود بل تسلم وتعيش !

(ستار)

الفصل الثالث
المشهد الأول

فى بيت فاطمة (أرمل)

فاطمة : لا حق لك يا أخى أن تستسلم هكذا لأحزانك...
ما أحسب والدته نفسها قد حزنت عليه مثل حزنك!

حامد : يخيل إلىّ أحيانا أننى أنا الذى قتلته.

فاطمة ماذا تقول؟ إنه مات قضاء وقدرا فى حادث قطار.

حامد : لن أنسى أبدا قوله لى يوم المكالمة التليفونية: أتدرى يا حامد لو جاء فـــىّ أمر الله الآن لاستقبلته بنفس مطمئنة.

فاطمة وأى شىء فى ذلك؟

حامد : لا أكذبك يا أختى ، إننى تمنيت ساعتئذ موته وأنا أقول له : بل تعيش يا محمود.

فاطمة : دعك من هذه الأوهام.
اسكتْ ، ياما عذبها وسقاها الويل.

حامد : **من فرط الحب.**

فاطمة : قد كنت ترثى لحالها منه.

حامد : هى اليوم أحق بالرثاء من ذى قبل.

فاطمة : استراحت منه !

حامد : لقد كانت تحبه يا فاطمة.

فاطمة : كانت تحبه ، وقد مات وانتهى.

حامد : أنا تمنّيت موته، فكأنــــى تمنيت لها أن تشقى.

فاطمة : اسمع يا حامد يا أخى. قلت لى يوما أنك لا تريد أنْ تغالط نفسك.

حامد : أجل لن أغالط نفسى.

فاطمة : فأنت تغالط نفسك الآن.

حامد : ماذا تعنين؟

فاطمة : أنت تحب ابتسام منذ قديم وهذه صورتُها بقيتَ محتفظا بها فى مكتبك.

حامد : إنما ذلك لمجرد الاستلهام الفنى.

فاطمة كلا يا حامد. أنت تربيتى وأنا أعرفك جيدًا. لقد كنت تحبها طوال هذه السنين وتتمنى أن تكون لك.

حامد : بعد أن صارت زوجة لغيرى؟ لا يا فاطمة.

فاطمة : طيب ما علينا من الماضى. الآن وقد صارت خالية لا زوج لها ماذا يمنعك؟

حامد : **(يتمتم)** الآن.

فاطمة : نعم... لقد كنت تقول إنك مسئول عما أصابها من عنت وشقاء. وها قد أصبح فى مقدورك الآن أنْ تصلح غلطتك.

حامد : لكن... لكنها لن تقبلنى يا فاطمة.

فاطمة : دع هذا الأمر لى. اطمئن.

حامد : بعد كل الذى..

فاطمة : نعم بعد كل الذى حصل. سأشرح لها الحقيقة من أولها إلى آخرها.

حامد : لن تصدقك.

فاطمة : أنا كفيلة لك بذلك.

«المشهد الثانى»

فى بيت خديجة أم ابتسام الذى سبق فى المشهد الثالث من الفصل الأول .

ابتسام : كلا يا أماه... مستحيل أن أقبله. لقد أساء إلىّ مرتين.

خديجة : قد عرفت الحقيقة فى ذلك وعلمت أنه لم يقصد فى كل منهما غيرَ مصلحتك.

ابتسام : أتصدقين كلام أخته؟

خديجة : لم لا؟ إن القرائن كلها تدل على صدقها.

ابتسام : ظن أننى سأبور بعده فتصدّق على بصديقه ليتزوجنى!

خديجة : إذا كنت قد صدقت كلام أخته فصدقيه كله بتفاصيله.

ابتسام : كلامها صريح فى أنه كان يعطف عليّ.

خديجة : وأى بأس فى ذلك؟

ابتسام : إنه لا يحبنى وإنما يريد أن يتزوجنى لوجه الله... شفقة منه ورحمة.

بل كان طول عمره يحبك هذا واضح الآن

كالشمس.

ابتسام : كلا... مستحيل أن يظلّنى وإياه سقف واحد.

خديجة : لماذا؟

ابتسام : كذا.

خديجة : لا تكونى حمقاء... هذه فرصة ! أتريدين أن تقضى شبابك كله أرملة؟

ابتسام : أهون عندى من أن أكون زوجة له !

خديجة : آه منك ومن صلابة رأسك!.. أتعتقدين أننى أريد أن أغشّك؟ أنا أمّك يا ابتسام.

ابتسام : عجبا لك. فيما مضى كنت تقدحين فيه ولا تطيقين ذكره، وياما لمتنى على انتظاره!. واليوم تدافعين عنه كإنما وكللك محامية !

خديجة : فيما مضى كان لا شيء أما اليوم فقد أصبح غنيا له شأن... أصبح أغنى حتى من ابن آل المرزوقى الذى كنت أريده لك.

ابتسام : عنده الممثلات والراقصات من كل شكل ولون فليأخذ واحدة منهن.

خديجة : نعم ، أهو بحاجة إلى أنْ تدليه أنت عليهن؟ أم مازلت تحقدين عليه لأنه تركك من أجل تلك

المثلة التى اسمها سلوى سمير؟

ابتسام : كلا ، ما تركنى من أجلها.

خديجة : فلماذا إذن تركك؟

ابتسام : **(فى حدة)** ما يدرينى؟ سليه هو !

خديجة : وماذا يُحوجنى إلى سؤاله؟ قد بعث هو الجواب بلسان أخته.

ابتسام : قلت لك لا أصدق كلامها... لا برهان لها عليه.

خديجة : أى برهان بعد؟ قد قالت لنا اسألوا الست زينب أم محمود فهى تعرف السر كله. اذهبى إليها فاسأليها.

ابتسام : كلا لن أسألها ابدا... أنا مجنونة؟

خديجة : طيب. سأسألها أنا لك.

ابتسام : كلا... إياك أن تفعلى اتركى حماتى ناحية.

خديجة : ليطمئن قلبك.

ابتسام : **(نافدة الصبر)** كلا لن أقبله ! لن أتزوجه أبدا مهما فعلت.

خديجة : على حد المثل : خطبوها تعززت. سابوها تندمت.

ابتسام : **(ثائرة)** لست شريكتى... هذا شأنى أنا وحدى.

خديجة : كذا؟ طيب ! ذنبك على جنبك.

« المشهد الثالث »

فى بيت فاطمة الأرمل الذى سبق فى المشهد الرابع من الفصل الأول .

حامد : **(يرتدى معطفه كأنه يستعد للخروج)**
لكن فاطمة أختى... سيذوب قلبها حزنا علىّ . ماذا جنت حتى أسبب لها هذا الألم؟ لا بل تستحق، هى التى حملتنى على أن أخطب ابتسام من جديد. لقد كنت يائسا من لقائها ذلك اليأس المزمن الذى يمكن احتماله، فما زالت تطمعنى فيها حتى انبعث أملى من جديد ليتبعه هذا اليأس الحاد الذى لا سبيل إلى احتماله. معاذ الله ! لا أحقد على فاطمة فقد أرادت لى الخير ، ولكن هذا تصرفها وعليها أن تتحمل تبعته ! والحمد لله لن نفقد غير شخصى. فيما اتركه لها فى البنك ما يكفيها ويكفى أولادها مدى العمر. قد نامت... ناموا جميعًا. هل أوقظها لأخبرها بخروجى؟ أشتهى أن ألقى عليها نظرة

وداع. إنى لم أجلس إليها كثيرًا اليوم... لكن لا... لا داعى لذلك. ربما يخوننى ضعفى حين آراها. هذا أمر يتطلب القطع والتصميم والتعجيل... فيم التردد بعد؟ قد قتلت المسألة بحثا من كل وجه. هذا هو الباب الوحيد المفتوح أمامى للخلاص. عجبا! كنت أسخر ممن سبقونى فى هذا الدرب وأعتبرهم جبناء، فإذا بى اليوم أرى سلوكه عين الحكمة والصواب. أأنا جبان؟ كلا ! يائس؟ نعم. ولكن ليس ذلك ذنبى بل ذنب الحياة نفسها... هى التى هانت فلم تعد لها عندى قيمة، تُرى هل للقدر يد فى ذلك؟ إذن فهو موجود. يرحم الله عمى كان يقول لى: إنى سألمس وجوده بنفسى . وويل لهذا للقدر..! ألا يريني وجهه إلاّ فى هذه الصورة البشعة؟ أيريد أن يتحدّانى؟ أيريد منى أن أبقى طول عمرى أتجرع هذا العذاب ليتشفّى منى؟ كلا لن أبلغه ما يريد. سأضع بيدى حدًّا لهذه الحياة التافهة...

(يفتح رسالة فيتصفحها بسرعة)

وافية بالمراد (**يعيدها فى ظرفها**) أين ينبغى أن أضعها؟ هنا تحت هذا المنبه الذى لا ينسى ولا ينام .

(**يضع الرسالة تحت المنبه على المكتب ثم يفتح أحد الأدراج ويخرج منه مسدسا**) .

هذا الرفيق لذى سيهديني الطريق. (**يقلبه فى كفه**) .

كلمة واحدة من فمة تنهى كل شيء...

تدخل فاطمة مقتحمة فى وجل واضطراب.

: حامد ! ما هذا الذى بيدك؟ ماذا تنوى أن تصنع؟

: (**يخفى مسدسه فى جيب معطفه**) لا شيء يا فاطمة لا شيء..

: بل رأيته فى يدك ! رأيت شيئا كالمسدس.

: (**يتجلد ويخفى اضطرابه**) نعم هذا مسدسى أخذته لأخرج به معى.

: وإلى أين تريد أن تخرج فى هذه الساعة من الليل.

: إلى... إلى الاستوديو يا فاطمة... تذكرت أنّ لى عملا هناك لابدّ من إنجازه.

: ولماذا لم تخبرنى بأنك خارج؟

: لم أشأ يا أختى أن أزعجك من نومك.

فاطمة : كلا يا حامد. هات أولاً هذا المسدس

(تسحب المسدس من جيب معطفه)

حامد : دعيه معى لاستأنس به فى الطريق.

فاطمة : **(تغرورق عيناها بالدمع)** كلا يا أخى لن أدعك تخرج الليلة من هنا !

حامد : ماذا توهمت يا أختى؟

فاطمة : أعلىّ أنا يجوز هذا؟ أنا عاجنتك وخابزتك !
الله يهديك يا حامد ويتوب عليك.
هكذا يهون عليك أن تفارقنا إلى الأبد؟

حامد : ماذا تقولين يا فاطمة؟ أؤكد لك إنك مخطئة فى ظنك.

فاطمة : يا ربّ ارحمنا يا رب.

« المشهد الرابع »

فى بيت زينب أم محمود الذى سبق فى المشهد الثانى من الفصل الأول .

فاطمة : بالله عليك يا أم محمود لا تخيبى رجائى !

زينب : بس كيف أفاتحها فى ذلك؟ من يوم ما مات المرحوم ابنى ما رأيتها إلا فى مناسبات الوفاة...

فاطمة : أنا أعلم أن فى ذلك مشقة عليك، ولكن لا بأس أن تحتمليها من أجلى ومن أجل أولادى اليتامى، حامد أبونا كلنا... ما لنا غيره !

زينب : حامد أخوك عزيز عندى — يشهد الله — ولكن..

فاطمة : أعرف ما تريدين أن تقوليه... ليس من اللائق أن تسعى أنت إلى أرملة ابنك لكى تقبل زوجا آخر.

زينب : وخاصة ولم ينقض على الوفاة بعد ستة أشهر.

فاطمة : إنى أقدر شعورك يا خالتى أم محمود... ولكن المسألة حياة أو موت.

زينب : بس.. لو جاءتنى ابتسام وبدأتنى الاستفهام، لكان ذلك أسهل على.

فاطمة : كم حاولت أمها أن تقنعها بذلك فأصرت على الرفض. رفضت حتى مجىء أمها لتسألك.

زينب : مسكينة ! معذورة فى الواقع. ترى هى أيضًا أن ذلك لا يليق. مع أنى — والله الشاهد — أتمنى لها الخير من كل قلبى ! يكفى العذاب الذى قاسته من المرحوم ابنى. الله يرحمه ويحسن إليه !

(تندى عيناها بالدمع).

فاطمة : سامحينى يا خالتى أم محمود... أنا أثرت شجونك !

زينب : **(تتجلد)** حكم الله يا بنتى وكلنا عبيده والخيرة فيما اختار. استراح على كل حال !

(تلمع عيناها فجأة) الله ! ذكَّرتنِى ! لحظة صغيرة حتى أبحث لك فى أوراقه **(تنهض)**.

فاطمة : فى أوراقه !

زينب : كان — الله يرحمه — يدون خواطره فى دفتر خاص. وعلى الأخص فى أيامه الأخيرة لما ركبته الوساوس... وكان حريصا أشد الحرص على إخفائها عن امرأته. وكثيرًا ما سألنى هل فتحت ابتسام الدرج الذى يغلق عليها فيه. الله يرحمه. كان يسأل دائمًا عن المفكرة والتليفون

! (**تخرج**).

فاطمة : اللهم اجعلها خير يا رب ! ليتها دعتنى لأساعدها فى البحث.

زينب : (**تعود**) الحمد لله وجدته يا فاطمة !

فاطمة : (**متمتة**) عسى يا رب نجد فيه ما نريد !

زينب : (**تناولها الدفتر**) خذى الدفتر يا بنتى تصفحيه.

فاطمة : (**تفر الدفتر وتتصفحه فى اضطراب**) يا رب ياما أنت كريم !

زينب : ماذا وجدت يا فاطمة؟

فاطمة : يوم المكالمة التليفونية.

زينب : أسمعينى..

فاطمة : ١٢ أغسطس سنة ١٩٥٢ : الحمد لله. لقد بانت الحقيقة الرائعة ! إنها تحبنى حبا جما. إنها لم تعد تحبه. لقد نهرته فى التليفون وسبته وألقت عليه درسا لن ينساه. اغفر لى يا رب سوء ظنى !
إنى اليوم سعيد... سعيد !

زينب : (**تنهمر دموعها**) بس يا بنتى كفاية ! خذى الدفتر معك !

« المشهد الخامس »

في مكتب حامد المخرج الشهير ، في بيته المؤثث.

(حامد في مكتبة منهمكا في الكتابة لا يضع قلمه إلا حيثما يشعل السجارة تلو السيجارة)

(يقرع الباب بلطف)

حامد : من؟.. ابتسام؟

ابتسام : هل لي أن أدخل؟

حامد : (في لهجة مازحة) ممنوع الدخول.

ابتسام : (تدخل ضاحكة) يعني ، ادخلي !

حامد : (يقهقه ضاحكا) لغة الجنس اللطيف !

ابتسام : أليست أحلى من لغة الجنس الخشن؟

حامد : طبعًا طبعا طبعا... اللطف أحلى من الخشونه.

ابتسام : ما هذا الذي شغلك اليوم عن نوم الظهر؟

حامد : وحي هبط عليَّ فأطار النوم من عيني.

ابتسام : ترى ممن استوحينه؟

حامد : (مازحا) من سلوى سمير !

ابتسام : **(بين العبوس والابتسام)** لا... هذه قد بطل وحيها من زمان، إنما خوفى من النجوم الجدد !

حامد : هل تظهر النجوم والشمس طالعة؟

ابتسام : لا... ولكن فى الليل !

حامد : وأين هو الليل يا حبيبتى؟ إنى أعش الآن فى نهار دائم.

ابتسام : ألا يشتاق قلبك إلى سكون الليل ورقة أنسامه؟

حامد : الشمس التى عندى تجلو ظلام الليل وتؤنس وحشته كما تلطف حر النهار وتحيله إلى سحر !

ابتسام : **(فى غنج)** وأين هى هذه الشمس؟

حامد : لها مشرق ولها مدار...

ابتسام : أين مشرقها؟

حامد : فى عينى !

ابتسام : ومدارها؟

حامد : فى قلبى !

ابتسام : أنت شاعر يا حامد !

حامد : شاعر بالسعادة فى ظل حبك !

ابتسام : طيب... هل لى أن أطّلع على هذا الوحى لأعرف

من أين مصدره؟

حامد : وحيي دائمًا مصدره الشمس... سواءً يوم كنت محروما منها أو يوم صارت ملكا لى.

ابتسام : أرانى كذا (**تنظر فى الورق**) مشروع قصة ! ما هذا يا حامد؟ أتريد أن تعمل كاتب قصة أيضًا؟

حامد : كلا يا حبيبتى لا ينبغى أن أتجاوز اختصاصى، وإنما هى رءوس أفلام يمكن أن تصاغ منه قصة . اقرئيها لأسمع فيها رأيك.

ابتسام : بل اقرأها أنت لأستمع إلى صوتك !

حامد : **قصة شاب كان لا يؤمن بالقدر لشدة ثقته بنفسه وبقدرته على تحقيق كل ما يريد، يحار بين حبه وفنه، فآثر الانقطاع لفنه لما يتطلبه من الكفاح الذى يستطيع أن يؤكد به عزمه وقدرته، بينما كان حبه فى متناول يده دون عناء ولا جهاد... ملحوظة : أحداث القصة تستعار هنا من وقائع قصتى مع "ابتسام" بعد تحويرها التحوير المناسب.**

ابتسام : ما هذا يا حامد؟ أتريد أنْ تُطلع كاتب القصة على اسمى وأسرارى؟

حامد : كلا يا حبيبتى... سأخترع له أسماء أخرى.

ابتسام : طيب... كمّل.

حامد : نجح صاحبنا فى جهاده الفنى فتعاظم شعوره بقدرته وأوغل فى عدم الاعتراف بالقدر، ولكنه أخفق فى الخطة التى رسمها ودبرها لسعادة حبيبته؛ فأصر على المكابرة وعزا سر إخفاقه إلى تقصيره هو فى التحرى والتدبير. وشق عليه أنْ تشقى حبيبته فقام بمحاولة أخرى لإنقاذها من الشقاء الذى تعانيه، مضحيا بسمعته عندها على صورة أشنع وأقسى من تضحيته الأولى.

ابتسام : سلوى سمير ، والتليفون !

حامد : أصبت !

ابتسام : كمّل... كمّل.

حامد : ظن صاحبنا أنه قد نجح فيما أراد، وأن تضحيته هذه لم تذهب عبثا. ولكن القدر ما لبث أن لطمه لطمةً قاسية. فإذا زوج حبيبته يموت فى حادث مفجع !..

ابتسام : لماذا تنظر إلى يا حامد؟

حامد : أراك تدمعين.

ابتسام : هل يسوءك ذلك؟

حامد : بالعكس يا حبيبتى. هذا يؤكد لى أنك من معدن طيب.

ابتسام : **(تمسح دمعها)** طيّب... كمل.

حامد : أصرّ صاحبنا على أن يحتمل التبعة وحده ممعنا فى تجاهل القدر، فتقدم إلى حبيبته الأرملة خاطبا يحدوه حبه القديم لها وتصميمه على إسعادها. وقد اجتمع هذان اليوم مرة أخرى فى شخصه. وطفق يحلم! وإذا القدر يوقظه من حلمه بلطمة قاسية، إذ رفضت حبيبته وأصرت على الرفض. وهنا تضعضع صاحبنا وانهاز وهو لا يدرى أنه انهار، عزم على الانتحار ليتحدى به القدر، فإذا القدر يلطمه هذه المرة لطمة رقيقة ناعمة، إذ ألقى فى يده برهان براءته وإخلاصه لحبيبته مكتوبا بخط زوجها الغيور نفسه.

ابتسام : **(مأخوذة)** استمر يا حامد!

حامد : وهنا نظر صاحبنا فرأى القدر باسطا له ذراعيه يتهلل وجهه بشرا، فما وسعه إلا أن يستكين له ويستسلم إليه!

ابتسام : جميل يا حامد ! رائع ! استمر.

حامد : انتهى ما سطرته اليوم.

ابتسام : ولكن القصة لم تنته بعد؟

حامد : **(يقوم إليها)** يا حبيبتى إن هذه القصة لن تنتهى أبدا.

(يضمها إلى صدره ويقبلها قبلة طويلة)

« ستار الختام »

رقم الإيداع: ٢٠٠٦/١١٤٦٢
الترقيم الدولي : 9-1521-11-977

دار مصر للطباعة
سعيد جودة السحار وشركاه